١

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

لإمام الدعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

شرح فضيلة الشيخ

هيثم بن جميل سرحان

المدرس بالمسجد النبوي

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ للهِ نَحمَدُه ونستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا مَن يَهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ له. وأشهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شَريك له، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه . أمَّا بعدُ:

مقدمة بين يدي الشرح

مؤلف هذا المتن

شَيْخُ الإِسْلَامِ ومُجَدِّدُ دَعْوَةِ التَّوحِيدِ، الإمامُ: مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِالوَهَّابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيّ. **كُنيَتُه**: أَبُو الحُسَين.

وُلِدَ في العُيَيْنَةِ سنة (١١١٥هـ)، **وتُوُفِّيَ** في الدّرعيَّةِ سنة (١٢٠٦هـ).

لماذا ندرس التوحيد؟

لأنّ الله خلَقنا مِن أجله	لا يَقبلُ الله أيّ عملٍ إلا به
لا يَدخُل الجَنَّة إلا موحِّد	سببٌ لتكثير الحسنات
سببٌ لتكفير السيئات	سببٌ للهِداية واستقرار الأمن
سببٌ للطمأنينة	سببٌ لشفاعة النبي ﷺ

سبب اختيار دراسة هذا المتن في بداية الطلب

اعتِناءُ سَلَفِنا الصَّالِحِ وعلَمَائنا مِن أَهلِ السُّنةِ والجَمَاعةِ بهذا المَتنِ المُبارَك؛ لِمَا فِيهِ مَن النَّفعِ والفَوائِدِ العَظِيمَةِ، التي جَعَلَتْهُ قاعِدَةً يَنطَلِقُ منها طالِبُ العِلْمِ ويَبني عَلَيها تَحصِيلَهُ العِلْمِيَّ الشَّرعِيَّ، فنَحنُ نَتأسَّىٰ بِهِم و نَخْطُو خَطوَهُم في هَذا المَنهَج.

- كَما أنَّ عَوامَّ الناسِ أيضًا لا غِنىٰ لَهم عن دِراسةِ هذا المَتن وما يَحتَويهِ مِن الأُسُسِ التي لابُدَّ له أن يُؤمَن بها إيمانًا جَازِمـًا لا يَحتَمِلُ الرَّيبَ و الشكَّ.

يتميز هذا المَتن - وكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عامة - بـ :

السُّهولَةُ والوُضوحُ	ذِكْرُ المَسائِل مَقْرُونَةً بالدَّلِيلِ	يَجمَعُ المسائل ويرتِّبها ويَذْكر لها عددًا؛ ومن ثمَّ يبدأ بالشرح	الإكثارُ مِن الدُّعاءِ للقَارِئ والمُستَمِع لمؤلَّفاتِه

تعريف الأصول الثلاثة

الأُصولُ الثلاثةُ باختِصارٍ هِيَ: أسئلةُ القَبْرِ الثَّلاثة

مَن رَبُّك؟	ما دِينُك؟	مَن نَبيُّك؟

ما هي الثمرة التي نجنيها من دراستنا للأصول الثلاثة ؟

أنك إذا تَعلمتَ الأصول الثلاثة ثم عملتَ بها ثم دَعوتَ ثم صبرتَ؛ أَجَبْتَ –بإذن الله– عن أسئلة القبر.

فهرست الأصول الثلاثة

يُقسَّمُ هذا المتن إلى خَمسَةِ أقسامٍ، وهِيَ :

١. المَسائلُ الأربَعة

٢. المَسائلُ الثلاث

٣. أهمِّيةُ دراسةِ التَّوحيدِ

٤. الأصولُ الثلاثة

٥. الخاتِمةُ

١.المسائل الأربعة

١.العِلمُ

٢.العَملُ

٣.الدَّعوةُ إلَيه

٤.الصَّبرُ علىٰ الأذىٰ فيه

٢.المسائل الثلاث

١. توحيدُ الرُّبوبيَّة والأسماءُ والصِّفات

٢. توحيدُ الألوهيَّة

٣. البَراءةُ مِن الشِّركِ وأهلِه

٣.أهمية دراسة التوحيد

الجَوابُ علىٰ السُّؤال: لماذا نَدرُس التوحيد؟

٤. الأصول الثلاثة

الأصولُ الثلاثةُ باختِصارٍ هي: أسئلةُ القبْرِ الثلاثة

مَن رَبُّك؟

ما دِينُك؟

مَن نَبِيُّك؟

٥. الخاتمة

مِن قَولِ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والناسُ إذا ما تُوا يُبعَثون» إلىٰ آخر المَتنِ.

أولًا: المسائل الأربعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:
(٢) أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:
الأُوْلَىٰ: العِلْمُ.
وَهُوَ: مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.
الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ(٣).

(١) سبب ابتداء المصنف المتن بالبسملة

١. اقتداءٌ بكتاب الله وبالرُّسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٢. تأسِّيًا بمَن قَبله مِن العلماء والسَّلف الذين كانت مِن عادتهم بدء تصانيفهم ومؤلفاتهم بالبسملة.

٣. مِن باب التبرُّك باسم الله الكريم.

(٢) كما أشَرنا في المقدِّمة؛ أنّ مِن عادة المصنِّف أنه يَبدأ بالدُّعاء لطلَبة العِلم ويَسأل اللهَ لهم الرَّحمة؛ وفي هذا دليلٌ علىٰ:

- رَحمةُ علماء أهلِ السُّنة والجَماعة بطلَبتِهم.
- أنّ الدِّينَ الإسلاميَّ مبنِيٌّ أصلًا علىٰ الرَّحمة.

العِلم: هو مَعرفةُ الحقِّ بدليله، وضِدُّه الجَهْل.

(٣) قِيلَ في بيان العِلاقة بَين العِلم والعَمل: «يَهتِفُ العِلمُ بالعَمل فإنْ أجابَه وإلَّا ارتَحل»، فلا فائدة في عِلمٍ غيرِ مقترِنٍ بعَمل. **فإذا تَعلَّم** وَجَبَ عليه أن يَعمل وإلَّا كان فيه شَبَهٌ باليهود، لأنّ اليهود عندهم عِلْمٌ ولا عَمَلٌ ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾.

وأوَّل مَن تُسعَّر به النار ثلاثة؛ منهم: عالِمٌ تَعلَّم العِلم ولم يَعمَل به.

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ

الثَّالِثَةُ:

الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

للدعوة شروط وضوابط يجب أن تقوم عليها، ومن أهمها:

١. أن تكون الدَّعوة خالِصة لوَجهِ الله تعالىٰ

٢. أن تكونَ الدَّعوة مبنيَّة علىٰ السُّنة والعِلم.

٣. أن تكونَ الدَّعوة بالحِكمة

٤. أن تتمَّ مراعاةُ أحوال المَدعوِّين

الدليل علىٰ هذه الشروط:

قولُ الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ المُشار إليه هو ما جاء به الرَّسولُ ﷺ مِن الشَّرع، والسَّبيلُ: هو الطريق. ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الدَّاعي إلىٰ الله هو المُخلِصُ الذي يُريد أن يُوصِلَ الناسَ إلىٰ الله. ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ البَصيرة: هي العِلم، و تَشمَلُ هنا العِلمَ بـ :

١. الشَّرعِ

٢. حالِ المَدعُو

٣. الطريقِ الموصلِ إلىٰ المَقصود

كأنّ المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ يقول: إذا تعلَّمتَ ثم عَمِلتَ وَجَبَ عليك أن تَسيرَ علىٰ ما كان عليه النبي ﷺ والصحابةُ والسلفُ الصالحُ؛ حيث قال اللهُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، إذن لا بدَّ من الدَّعوة.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَىٰ فِيْهِ(١).

والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (٢).

(١) ذَكَرَ المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ بَعد الدَّعوة: الصَّبرَ، وكأنه يقول لكَ: إنّ الذي يَسلُك هذا الطريقَ تَحصُلُ له أمورٌ كما حَصَلَتْ للأنبياء والرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فلا بدَّ مِن الصَّبر.

الصبر

- لغةً: الحَبْسُ
- شرعًا: حبْسُ النفْسِ على الأشياء وعن الأشياء

قسم الإمام ابن القيم الجوزية -غفر الله له- الصبر إلى ثلاثة أقسام:

- ١. الصَّبرُ على طاعةِ الله
- ٢. الصَّبرُ عن مَعصِيةِ الله
- ٣. الصَّبرُ على أقدارِ الله المؤلِمةِ

(٢) بعد ذِكرِ المسائلِ الأربعة ساقَ المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ الدَّليلَ عليها مِن الكتاب؛ وهيَ سورةُ العَصْر. والمؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ دائمًا يَذْكُرُ المسألةَ مقرونةً بالدليلِ، لماذا؟

- حتىٰ يربِّي الطالِبَ علىٰ الاتِّباع لا التقليد
- حتىٰ تكونَ عند الطالِب حُجَّة يردُّ بها على المخالِف
- حتىٰ يكونَ للطالِبِ قدرة علىٰ استِنباط الأحكام من أدلّتها علىٰ أُسسٍ سَليمةٍ

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»(١).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ(٢).

(١) مقصودُه رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ هذه السورة وَحدَها تَكفِي لقيام الحُجَّة علىٰ الخَلْقِ ليَتعلَّموا ويَعمَلوا ويَدعوا ويَصبِروا.

فما بالكَ بباقي سور القرآن؟ فالقرآنُ كلُّه حُجَجٌ.

(٢) بوَّبَ أميرُ المؤمنينَ في الحديثِ كتابَه (صحيحُ البخاري): «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ» وذَكَرَ الدليلَ، فلا بدَّ أولًا مِن العِلم قبل القَول والعَمل. فلا يَصحُّ أن يَعمَل بلا عِلْم وإلَّا كان فيه شَبَهٌ بالنصارى.

ثانيًا: المسائل الثلاث

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، وَالعَمَلُ بهِنَّ(١):

(١) بدأ المصنِّف هذا الجزء من المتن بالدعاء للطالب.

وقد دَعا المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ في الأصولِ الثلاثةِ للطالِبِ في ثلاثِ مواضع: في بدايةِ المسائلِ الأربعة، ثمَّ هنا عند المسائل الثلاثة. والمَوضِعُ الثالث: (اعلمْ أرشدكَ اللهُ لطاعتِه أنّ الحَنيفيَّةَ ملَّة إبراهيم).

مقدمة قبل شرح المسائل الثلاثة

التوحيد

لغةً: مَصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا.

وحَّد الشيء؛ إذا جَعَلَهُ واحِدًا.

شرعًا: إفرادُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بما يَختصُّ به من الرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصِّفات.

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الرُّبوبيَّة

إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأفعاله.

أو: إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالخَلق والملْك والتدبير.

توحيد الألوهيَّة

إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادةِ

توحيد الأسمَاء والصفات

إفرادُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما سَمَّى ووَصَفَ به نفسَه في كتابه أو على لِسَان رسوله

الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾(١).

❖ الأسماءُ والصِّفاتُ توقيفيَّة يُتوقَّفُ فيها علىٰ ما وَرَدَ في الكتابِ والسُّنَّةِ وذلكَ:

-بإثباتِ ما أثبتَه اللهُ ﷻ لنفسِه في كتابِه أو ما أثبتَه له رسولُه ﷺ.

-ونَفْيُ ما نَفاه الله ﷻ عن نفسِه في كتابِه أو نفاه عنه رسولُه ﷺ، مثل: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨] مِن غير تحريفٍ، ولا تَعطيلٍ، ومِن غير تكييفٍ، ولا تَمثيلٍ.

«المسائل الثلاث» خلاصتها

المسألة الأولىٰ: توحيد الرُّبوبيَّة وتوحيد الأسماء والصِّفات	المسألة الثانية: توحيد الألوهيَّة	المسألة الثالثة: البَراءةُ من الشِّركِ وأهلِه

(١) المسألةُ الأولىٰ أثبتَ فيها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ توحيدَ الرُّبوبيَّة وتوحيدَ الأسمَاء والصِّفات. (أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا) هو الخالِق. (وَرَزَقَنَا) الرزَّاق. (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا) مُعطَّلين لا أوامرَ ولا نواهيَ؛ (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً).

الغاية من إرسال الله الرسل عليهم السلام:

إقامةُ الحُجَّةِ على الخَلْقِ. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥]	الرَّحمَة. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِيْ عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

المسألةُ الثانية فيها إثباتُ الألوهيَّة لله تعالى.

قال المؤلّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أنَّ الله لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ)؛ «أحد» نكِرَة تَعُمّ كلّ أحد؛ نبيٍّ، أو وليّ، أو جنيّ، أو ملَك، أو صالِح، أو غيره؛ كائنًا من كان.

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]

قيلَ في معنىٰ المَساجِد ثلاث أقوال -وكلُّها تَصِحُّ-

المساجِدُ المبنيَّة التي بُنِيَتْ حتىٰ يُعبَدَ الله فيها	أعضاءُ السُّجود	الأرضُ ((وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجِدًا وطَهورًا))

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ « أحدًا » نكرة تعمّ كلّ أحد. ولذلكَ قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوَّلِ المسألةِ الثانية (أَنَّ الله لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ) يعني كائنًا مَن كان؛ نبيّ أو وليّ أو جنيّ أو صالِح.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

المَسالةُ الثالثةُ بيّن فيها المؤلّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ وُجُوبَ البَراءةِ مِن الشِّركِ وأهلِه.



١- **بالقلب**، بأن تُبغِضَ الكفّارَ وأعيادَهم واحتفالاتَهم وخُصوصًا الشِّركياتِ والبِدعِ التي عندَهم.

٢- **باللسان**، ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف ٢٦]، ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون ٣،٤،٥].

٣- **بالجوارحِ**، بعدَمِ مشاركتِهم في احتفالاتِهم أو طُقوسِهم أو لِباسِهم أو فيما هُمْ عليه مِن مُعتقَدٍ.

ثالثًا: أهمية دراسة التوحيد

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١). وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ(٢).

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوحِيْدُ؛ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ(٣).

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ؛ وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

الحنيفية

- لغةً: مأخوذةٌ من الحَنَف وهو المَيلُ
- شرعـًا: هي المِلَّةُ المائلة عن الشِّرك المُقبِلَة إلى الإخلاصِ والتوحيد والإيمان. ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ يَعني مقبلًا إلى الله مدبِرًا عن الشِّرك، فالحَنِيفُ الذي يَرجِعُ دائمًا إلى التوحيد ويَبتعِدُ عن الشِّرك.

(٣) يوضِّحُ هنا المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ لماذا نَدرُس التوحيد، وقد ذكَرْنا أهميته سابقًا (انظر صـ٢).

تعريف التوحيد - كما ذكرنا سابقا في المقدمة -

- لغةً: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا. وحَّد الشَّيء؛ إذا جَعَلَهُ واحِدًا.
- شرعـًا: هو إفرادُ الله بما يَختصُّ به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

قال المؤلِّف: (ومعنىٰ يعبدون: يوحِّدون)، وهذا هو قَول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث قال: «إنّ كلَّ عبادةٍ في القرآن معناها: التوحيد». ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحِّدوا الله، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يا أيها الناس وحِّدوا ربكم.

رابعاً : الأصول الثلاثة

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ (١).

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ (٣).

(١) بَدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذِكْرِ الأصول الثلاثة، والمُتمثِّلة في أسئلةِ القبْرِ الثلاثة، وأثار انتباهَ القارِئ أو السَامع بسؤالٍ، وأجابَ عليه.

(٢) وضّح المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصلَ الأوَّلَ وبيّن أنّ الرَّبَّ والمُستحقُّ للعِبادة هو الله ﷻ، وذَكَرَ الدليلَ، وهو قول الله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فالرَّبُ هو المَعبودُ.

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة

﴿ٱلْحَمْدُ﴾: فيه إثباتُ توحيدِ الأسماء والصفات.

﴿لِلَّهِ﴾ فيه إثباتُ توحيد الألوهية

﴿رَبِّ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية

(٣) أي كلَّ ما سِوىٰ الله مَخلوقٌ، وإذا كنتُ مخلوقًا لابدَّ أن أقومَ بشكرِ الخالِقِ المنعِمِ المتفضِّلِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا . **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٥٤﴾(١). **وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ**، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ (٢) **قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ** -رَحِمَهُ اللهُ-: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(٣).

(١) شَرَعَ المؤلِّفُ في ذِكْرِ مجموعةٍ مِن الآياتِ الكونيَّة والمخلوقاتِ التي تدلُّ وُجودِ الله، والتي تُثبِتُ أنه لا ربَّ و لا خالِقَ و لا مَعبودَ بحَقٍّ إلا الله. وساق عليها الأدلة من القرآن كما هي مذكورةٌ في المَتن.

* وكلُّ مَخلوقٍ هو آيةٌ علىٰ وُجود الله ﷻ، ولكن غايَرَ شيخُ الإسلام محمَّد بنِ عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ بين الآية والمَخلوق لأنّ الآيةَ تتغيَّر؛ مِثل الليل والنهار، والذي يتغيَّر يكون فيه قوةُ دليلٍ عن الذي لا يَتغيَّر.

(٢) هذه الآية في سُورةِ البقرة، قال بعضُ العلماء: إنَّ هذه الآية فيها أوَّلُ نداءٍ في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. وفيها أوَّلُ فِعْلِ أَمْرٍ في القرآن ﴿اعْبُدُوا﴾ أي وحِّدوا. وفيها أوّل نَهْيٍ في القرآن ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نَهْيٌ عن الشِّرك.

(٣) يعني المنفرد بتوحيد الربوبية يجب أن يُفرَد بتوحيد الألوهية.

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا(١): مِثْلُ الإِسْلَامِ، وَالإِيْمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوْعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلهِ تَعَالَى. وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وَفِي الحَدِيْثِ: ((الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ)). وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

عقَّبَ المؤلِّفُ علىٰ قول ابنِ كثير بذِكْرِ عَددٍ من العباداتِ القلبيَّة والبدنيَّة مع الدَّليلِ من الكتاب لكلِّ عَمَلٍ، علىٰ النَّحوِ التالي:

الدعاء
وينقسم إلى:

- **دعاءُ عبادة**: هو دعاءٌ بلِسَانِ الحالِ؛ كمَن صلَّىٰ وصام وحج لغير الله.
  - صَرفُه لغير الله شِركٌ أكبر
- **دعاءُ مسالة**: هو دعاءٌ بلِسَانِ المَقالِ؛ كقول: اغفر لي، ارحمني.
  - حُكمُه فيه تفصيلٌ، وهو على قِسمَين، كما سيأتي



أما إن اعتقد أنّ لهذا المدعو تصرُّفًا خفيًّا في الكون وبيده جَلْبُ المنافع ودَفْعُ المَضار؛ فهذا شرك.

❖ ملحوظة:

نحن نَدرُس الحُكم علىٰ الفِعل، أما الحُكم علىٰ الفاعِل فيحتاج إلىٰ إقامَةِ الحُجَّة وانتفاءِ الشُّبهةِ.

والعلماءُ هُم من يَحكم علىٰ الفاعِل أنه مؤمنٌ أو كافرٌ.

انقسم الناس في الاعتقاد في الأسباب إلى ثلاثة أقسام:

قِسمٌ يَعتقِد ويَجعَل ما جعله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سببًا سبب؛

وهذا صَحيحٌ

قِسمٌ يَعتَقِد ويَجعَل ما لم يَجعلْه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سببًا سبب؛

وهذا شِركٌ أصغرُ

قِسمٌ يَعتقِد أنّ السَّبب مؤثِّرٌ بذاتِه وبِيَده جَلْبُ المنافِعِ ودفع المَضارِّ؛

فهذا شِركٌ أكبرُ

أسبابٌ شرعيَّة

كالرُّقية الشرعيَّة، فقد جَعَلَ الله -سُبْحَانَهُ- الرقية سببًا شرعيًّا لرفع المرض.

أسبابٌ حسيَّة

كالدَّواء، فقد جَعَلَه الله سببًا للشفاء

❖ الحديث ((الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ)) حديثٌ ضعيفٌ، والصَّحيحُ قولُ النبيِّ ﷺ: **((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةِ))**.

كيف يكون الدعاء هو العبادة؟

الآية تدلُّ على هذا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عِبَادَتِي﴾ فهذا دليلٌ على أنّ الدُّعاءَ عبادةٌ.

الخوفُ: هو الذُّعْرُ، وهو انفعالٌ يَحصُلُ بتوقُّع ما فيه هلاكٌ أو ضررٌ أو أذى، وقد نهى الله ﷻ عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

(٢) الخوف وهو ثلاث أنواع:

خوفُ السِّرِّ (خوفُ عبادةٍ)	الخوفُ الطبيعيِّ (الجِبِلِّيّ)	الخوفُ المُحرَّمُ
وهو خَوفُ العابِدِ من المَعبود، وفيه التذلُّل والخُضوع والتَّعظيم للمَعبود، وهذا النوع واجبٌ لله.	كأن يخافَ الإنسانَ النار والعَدُوّ والحيوان المفترِس ...الخ، وهذا مباحٌ	كالقُنوطُ من رَحمة الله أو طاعة المَخلوق في مَعصية الخالِق.

وَدَلِيْلُ الخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(١).

وَدَلِيْلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٢).

الرَّجاءُ: طَمَعُ الإنسانِ في أمْرٍ قريبِ المَنال، وقد يكون في بعيدِ المَنال؛ تَنزيلًا له مَنزلةَ القريبِ.

والرَّجاءُ المتضمِّنُ للذُّلِّ والخُضوعِ لا يكونُ إلَّا لله ﷻ وصرْفُه لغير الله ﷻ شِركٌ.

والرَّجاءُ المَحمودُ لا يكون إلَّا لمَن عَمِلَ بطاعة الله ورَجَا ثوابها، أو تابَ من معصيتِه ورَجَا قَبولَ تَوبتِه. وأمَّا الرَّجاء بلا عمل فهو غُرورٌ وتَمَنٍّ مذموم.

وَدَلِيْلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٣﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١).

وَدَلِيْلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوْعِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(٤).

(١) تعريف التوكل

- **لغةً**: التوكُّل علىٰ الشَّيء هو الاعتمادُ عليه
- **شرعًا**: هو صِدْقُ الاعتمادِ علىٰ الله مع الثِّقة به والأَخْذِ بالأسبابِ

لابد أن يتحقق في التوكل ثلاثة أمور

- **الصِّدْقُ** في الاعتماد علىٰ الله سبحانه وتعالى
- **الثِّقَةُ** بأنّ الله سبحانه وتعالى منجزٌ ما وَعَد
- **الأَخْذُ بالأسباب**

(٤) **الرَّغبةُ**: مَحبةُ الوُصول إلىٰ الشَّيء المَحبوبِ.

الرَّهبةُ: الخوفُ المثمِرُ للهَرَبِ من المَخوف، فهي خَوفٌ مَقرونٌ بعمَل.

الخُشوعُ: الذُّلّ والتَّطامُن لعَظَمة الله، بحيث يَستسلِمُ لقضائه الكوني والشرعيِّ.

❖ السَّائرُ إلىٰ الله ﷻ لا بدَّ أن يَجمَعَ بَين الخوفِ والرَّجاء، لا يُغلِّبُ جانبًا علىٰ جانب فيقع ويَهلَك، فلابدَّ أن يكون عنده الخوفُ والرَّجاء كجناحَي الطائر.

وَدَلِيْلُ الخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ (١).

وَدَلِيْلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾(٢).

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وَفِي الحَدِيْثِ: ((إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ))(٣).

وَدَلِيْلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، وَ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾(٤).

وَدَلِيْلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾.(٥).

وَدَلِيْلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾،وَمِنَ السُّنَّةِ: ((لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ))(٦)

---

(١) **الخَشيَةُ:** هي الخَوفُ المَبنيُّ علىٰ العِلْمِ بعَظَمة و كمالِ سلطانِ من نخشاه، فهي خوفُ العلماء.

(٢) **الإنابةُ:** الرُّجوع إلىٰ الله تعالىٰ؛ بالقيام بطاعته واجتنابِ معصيته.﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ أي ارجِعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي تُسلِّم أمركَ لله ﷻ؛ لأنكَ عبد، والعبدُ لا بدَّ أن يُسلِّم للسيِّد، والسيِّدُ هو اللهُ؛ كما قال النبي ﷺ: ((السيِّدُ اللهُ)).

(٣) **الاستعانةُ:** طلبُ العَون. ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ في هذه الآية تقديم ما مِن حقِّه التأخير؛ وهذا يدلُّ علىٰ الحَصر، يعني: لا نعبد إلا إياك ولا نستعَينُ إلا بكَ.

(٤) **الاستعاذة:** طلبُ الإعاذة، وهي: الحِماية من مكروه. ﴿ أَعُوذُ ﴾ يعني ألتجئ وأعتصم.

(٥) **الاستغاثةُ:** طلبُ الغَوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك.

> ❖ الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة، تَصِحُّ أن تُطلَب مِن المَخلوق فيما يَقدِرُ عليه بأربعة شروط؛ أن يكون: حيًا، وحاضرًا، وقادرًا، وسببًا.

(٦) **الذبح:** إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه مخصوص.

وَدَلِيْلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ (٧)(١).

ينقسم الذبح إلى ثلاثة أقسام

ذبحٌ لله	ذبحٌ لغير الله	ذبحٌ مباح
كالهَدْيِ والأُضْحِيةِ والصَّدقاتِ	كالذَّبح للجنِّ وأصحاب القُبور. وهذا شِركٌ	كشاة اللَّحم وإكرام الضَّيف والتجارة

❖ ملحوظة : هناك مَزيدُ تَفصيلٍ في مَسالة الذَّبح تأتي في كتاب التوحيد بإذن الله.

(١) تعريف النذر

لغةً	شرعًا
العَهْدُ والإلزام	إلزامُ المكلَّفِ نفسَه بشيء غير واجب

❖ ملحوظة : النذر له أقسامٌ و شُروطٌ و كفارةٌ يأتي تفصيلها في كتب التوحيد بإذن الله.

أنواع النذر

نَذرٌ لله	نَذرٌ لغير الله

❖ ذِكْرُ المؤلِّفِ لهذه العباداتِ ليس من باب الحَصر و لكن علىٰ سبيل المثالِ، لأنّ هناك العديد من العبادات لم تُذكَر، والشاهد أنّ من صرف شيئًا من هذه العبادات أو غيرها لغير الله فقد أشرَكَ .

الأَصْلُ الثَّانِيْ: مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ لِلهِ بِالتَّوحِيْدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيْمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الْمَرْتَبَةُ الْأُوْلَىٰ: الإِسْلَامُ(١).

فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ:

شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (٢) وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

(١) عرَّج المؤلِّف علىٰ الأصل الثاني، وهو معرفة العبد دينه، و ابتدأ بتعريف الإسلام، قال:

المرتبة الأولى الإسلام

وهو الاستِسلامُ لله بالتوحيد والانقيادُ له بالطاعةِ والبَراءة من الشِّرك وأهلِه.

فهذا تعريفُ الإسلام؛ أن تُسلِّم أمركَ لله ﷻ لأنكَ عبدٌ، والعبدُ لابدَّ أن يُسلِّم للسيِّد، والسيِّد الله؛ كما قال النبيُّ ﷺ.

ثم قَسَّم الدِّين إلىٰ ثلاثِ مراتب :

الإسلامُ — الإيمانُ — الإحسانُ

(٢) أركانُ الإسلام خمسةٌ أوّلها:

الشهادة: وهي الاعترافُ باللسان، والاعتقاد بالقلب، والتصديق بالجوارح.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللهِ.

« إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لِلهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾(٢).

ذَكَرَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ دليلَ شهادةِ أنْ لا إله إلا الله، وأَوضَحَ معناها، وهو:

لا معبود بحق إلا الله.

فلابد أن تتضمن شهادة الإخلاص على

نفي	إثبات

النفيُّ في قول: «لا إله».

والإثباتُ في قول: «إلا الله».

وهذه الصِّيغة تُفِيدُ الحَصرَ والإثباتَ؛ حيث أنها تَحصُرُ وتُثبِتُ العبادةَ لله وحده، وتَنفيها عن غيره .

ولذلكَ قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: «وتفسيرُها الذي يوضِّحُها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾».

﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا معنىٰ «لا إله»،

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي «إلا الله» .

❖ لو قال قائلٌ: معنىٰ شهادة أن «لا إله إلا الله»: لا مَعبودَ إلا الله؟

قلنا هذا الكلام خاطئ؛ لأنه بهذا الكلام يُصحِّح كلّ ما يُعبَد من دُون الله، لكن عندما يقول (بحقٍّ) فهذا دليلٌ أنه يكفُر بجميع ما يُعبَد من دون الله وأن لا مَعبود بحقٍّ إلا الله.

❖ لو قال قائلٌ: معنىٰ «لا إله إلا الله»: لا ربَّ بحقٍّ إلا الله؟

قلنا: هذا الكلامُ صحيحٌ، ولكن ليس هو تفسيرُ لا إله إلا الله، فهذا توحيدُ الرُّبوبيَّة، وقد أقرَّ به الكفار الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ ولم يُدخلهمْ في الإسلام.

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾(١).

(١) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذه الآية فيها دليلٌ علىٰ تحريم التقريبِ بين الأديان.

وَدَلِيْلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(١).

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيْمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيْقُهُ فِيْمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ(٢).

(١) ذَكَرَ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ هذه الآية دليلًا علىٰ شهادةِ أنّ محمدًا رسولُ الله ﷺ، **وقد أكَّد الله فيها الشهادةَ بثلاث مؤكِّدات:**

القسم المقدَّر، واللام، وقد.

(٢) بيّن المصنِّف –رَحِمَهُ اللهُ– معنىٰ شهادة أنَّ محمدًا رسولُ الله، وأنه يتوجَّبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ لتحقيق هذه الشهادة :

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهىٰ و زجر ، وأن لا يُعبَد اللهُ إلا بما شَرَعَ وبيَّن صلوات الله وسلامه عليه.

مقتضىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله: «أنه عبدٌ لا يعبَد، ورَسولٌ لا يُكذَّب» وهذا يعني:

أن نطيعَه في كلِّ ما أَمَرَ به ﷺ؛ لأنه مبلِّغٌ عن الله	تَصديقُه فيما أخبَرَ ﷺ؛ فهو الصَّادقُ المَصدوق ﷺ	اجتنابُ ما نهىٰ عنه وزَجَرَ؛ بأن تجعَل ما نهىٰ عنه النبي ﷺ في جانب، وأنت في جانب	أن لا يُعبَد الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– إلا بما جاء عن النبي ﷺ؛ وفي هذا رَدٌّ علىٰ المبتدعة

(١) الرُّكن الثاني: الصَّلاة

وهي التعبُّد لله بأفعالٍ وأقوالٍ مُبتدأةً بالتكبير ومختتَمةً بالتَّسليم، وهي عمود الدِّين، و قد فُرِضَتْ من الله مباشرةً علىٰ نبيِّه ﷺ دون وحي؛ وذلكَ حين عُرِجَ به ﷺ إلىٰ السَّماء.

الرُّكن الثالث: الزَّكاة

لغةً: هي الإنماء والتَّطهير.

شرعًا: هي حَقٌّ واجبٌ في مالٍ مخصوصٍ لطائفةٍ مخصوصةٍ من الناس.

(٢) الرُّكن الرابع: الصِّيام.

لغة: هو الإمساك.

شرعًا: هو التعبُّد لله بالإمساك عن المُفطرات مع النيَّة من طلوع الفَجر إلىٰ غروبِ الشمس. والصِّيام من أفضل أنواع العبادات؛ لاجتماع أنواع الصَّبر الثلاثة فيه، ومن عظيمِ شأنِه أنَّ الله ﷻ نَسَبَ إلىٰ نفسِه جزاءَ الصائم.

(٣)الركن الخامس: الحج

لغةً: هو القصد.

شرعًا: هو التعبُّدُ لله بأداء المناسِك وِفْقَ ما جاء في سنَّة الحبيبِ المصطفىٰ ﷺ.

وهو واجبٌ علىٰ كل مسلمٍ في العُمْر مرةً واحدةً.

وَدَلِيْلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيْرُ التَّوحِيْدِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾(١).

وَدَلِيْلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾(٢).

وَدَلِيْلُ الحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾(٣).

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيْمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاَهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيْقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ:

أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيْلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وَدَلِيْلُ القَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾.

المرتبة الثانية الإيمان

لغةً: هو التصديق والإقرار.

شرعـًا: هو قولٌ باللِّسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، يَزيدُ بالطاعة، ويَنقصُ بالمَعصية .

فالإيمانُ شرعًا لابدَّ فيه من خمسة أمور، إذا اختلَّ واحدٌ منها لن يكونَ مفهوم الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة:

قولٌ، وعملٌ، واعتقادٌ، يزيدُ، وينقصُ.

أركان الإيمان ستة:

- الإيمانُ بالله
- الإيمانُ بالملائكة
- الإيمانُ بالكتب
- الإيمانُ بالرُّسل
- الإيمانُ باليوم الآخر
- الإيمانُ بالقدَر خيره وشرِّه

الركن الأول: الإيمان بالله، ويستلزم أربعة أمور:

الإيمانَ بوجود الله ﷻ

ويكون بأربعة أمور:

بالعقلِ

فالعقلُ يَستحيل أن يَتصوَّر وجود مخلوقٍ بلا خالِق ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾

بالحِسِّ

تكون في كرْب وشدة، تَرفَع يديكَ إلىٰ السماء وتقول: يا رب، تجد هذا الكرب يَرتفِع بإذن الله ﷻ

بالفطرةِ

«كلُّ مولودٍ يولَد علىٰ الفِطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يمجِّسانه»

بالشَّرع

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما مِن آية في كتاب الله إلا وفيها دليلٌ علىٰ التوحيد»

الإيمانَ بتوحيد الرُّبوبيَّة

الإيمانَ بتوحيد الألوهيَّة

الإيمانَ بتوحيد الأسمَاء والصِّفات

الركن الثاني الإيمان بالملائكة

المَلائكةُ: هم عالمٌ غيبيٌّ، خلقهم الله من نور، يُطيعونَ الله ولا يَعصونَه، لهم أرواحٌ ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾، وأجسادٌ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، وعقولٌ وقلوبٌ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾. نؤمِنُ بهم إجمالًا، وبما أعلَمَنا اللهُ من أسمائهم (كجبريل وميكائيل وإسرافيل)، وصفاتِهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وأعمالِهم (مثل حملة العرش)، إجمالًا وتفصيلًا.

الركن الثالث الإيمان بالكتب

يجب أن نؤمِن بأنها كلامُ الله حقيقةً لا مجازًا، و أنها منزَّلةٌ لا مَخلوقةٌ، و أنّ الله أنزل مع كل رسولٍ كتابًا، ونؤمِن بها إجمالًا، وبما أخبرَنا الله من أسمائها وأخبارها وأحكامها؛ ما لم تُنسَخ، ونؤمن أنّ القرآن ناسخٌ لجميع ما قَبله من الكتب وهي : التوراة – الإنجيل – الزبور – صحف إبراهيم و موسىٰ عليهما السلام.

الركن الرابع الإيمان بالرسل

يجب أن نؤمِن بأنهم بشرٌ ليس لهم من خَصائص الرُّبوبيَّة شيءٌ، وأنهم عَبيدٌ لا يُعبَدون، وأنَّ الله أرسلهم و أوحىٰ إليهم ، وأيّدهم بالآيات، وأنهم أدُّوا الأمانة ونَصحوا الأمة وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، نؤمن بهم إجمالًا، وبما أعلَمَنا الله من أسمائهم وصفاتِهم وأخبارِهم، و أنَّ أوّلَ الأنبياء آدم عليه السلام، وأوّل الرُّسل نوح عليه السلام، وخاتَم الأنبياء والرُّسل محمدٌ ﷺ، وأنَّ الشرائع السابقة كلها منسوخة بشريعة محمدٍ ﷺ، وأُولُوا العزم خمسة ذُكِروا في سورتَي الشورىٰ والأحزاب: (محمَّدٌ ﷺ، ونوح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام، وموسىٰ عليه السلام، وعيسىٰ عليه السلام).

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

يَتضمنُ الإيمانَ بكلِّ ما أَخْبَرَ به النبي ﷺ ممَّا يكون بعد المَوت، مثل: فتنة القبر، النَّفخ في الصُّور، وقيام الناس من قبورهم، والمَوازين، والصُّحف، والصِّراط، والحَوض، والشَّفاعة ، والجَنَّة ، والنار، ورؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة وفي الجنَّة، وغيرها مِن الأمور الغيبيَّة.

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره و شره

يجب أن يتضمن هذا الركن الإيمان بأربعة أمور:

العِلمُ	الكتابةُ	المَشيئةُ	الخَلْقُ
الإيمانُ بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلِمَ كلَّ شيءٍ جملة وتفصيلًا	الإيمانُ بأنّ الله قد كَتَبَ مقادير كلِّ شيءٍ إلى أن تقومَ الساعةُ	الإيمانُ بأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، و أنّ للعَبدِ مشيئةً؛ لكنَّها داخلةٌ تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ	الإيمانُ بأنّ كلَّ الكائنات مخلوقةٌ لله بذواتِها و صفاتِها وحركاتِها، والدليل: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾

وهذه المَراتِبُ الأربعة، جَمَعَها النَّاظِمُ في قوله:

عِلْمٌ، كِتابَةُ مَولَانَا، مَشِيْئَتُه، وَخَلْقُهُ وَهُو إيْجَادٌ وَتَكْوِيْنُ

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ وَهوَ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾.

المرتبة الثالثة الإحسان

وهي أعلى مراتب الدين، ويندرج تحتها مرتبتان :

عبادةُ المُشاهَدة

هي عبادةُ حُبٍّ ورغبةٍ وشَوقٍ بما عند الله.

مثالُها: عبادةُ الأنبياء والرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويمكن لغيرِهم الوصول إلى هذه المرتبة.

عبادةُ المُراقَبة

هي عبادةُ خوفٍ وهربٍ،

وهذه المرتبة لا يَخرجُ عنها مسلمٌ.

توضيح: ليس معنى هذا أنّ صاحِبَ هذه المرتبة عنده حبٌّ لله فقط وليس عنده خوف منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولكن في هذه المرتبة أقوى دافعٌ يَدفَعُ العَبد للعبادة هي: محبةُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنها قولُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا)).

وَالدَّلِيْلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيْثُ جِبْرَائِيْلَ المَشْهُوْرُ عَنْ عُمَرَ -رضي الله عنه- قَالَ: ((بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا)). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ؟ قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: ((مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)).قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: ((أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ)). قَالَ: فَمَضَىٰ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا. فَقَالَ: ((يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟))، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِيْنِكُمْ)).

هذا الحديثُ دليلٌ علىٰ أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

في قوله ﷺ: **((ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل))** دليلٌ علىٰ أنه لا يَعلمُ وقتَ قيام الساعة إلا الله.

قوله ﷺ " أن تلد الأمة ربتها "

- كناية عن كثرة العقوق
- كناية عن كثرة الرق
- كناية عن انقلاب الأحوال
- أنّ الملِك يتزوج من جارية فتلد له غلاماً ، فيصير هذا الغلام ملِك بعد وفاة أبيه وسيدًا علىٰ أمه.

((وَأَنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ))

العالة: يعني الفقراء.**((العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ))** يعني تَنقلِب الأحوال، يَنقلِب هذا الفقر إلىٰ غنًىٰ فاحش.

ما يستفاد من حديث جبريل عليه السلام

١. **أنّ علىٰ الطالبِ حُقُوقًا ستة**؛ منها: حَقٌّ لنَفْسِه، حَقٌّ لشُيوخِه، حَقٌّ للمَكانِ الذي يَدْرُسُ فيه، حَقٌّ لزُملائه، حَقٌّ للعِلْمِ الذي تَعلَّمَه.

-**حَقٌّ لنَفْسِه**: الإخلاصُ؛ لأنَّ طلبَ العِلْمِ عبادةٌ، والعِبادةُ لابدَّ أن يَتوفَّر فيها:

١.الإخلاصُ .

٢.والمُتابَعةُ.

-**حَقٌّ مع الشيخ**: والناسُ في هذا البابِ يَنشقُّون طرفان ووسَط، وسوف يأتينا أنّ أوّلَ شركٍ حَدَثَ في الأرضِ بسبب شُبْهَة الغُلو في الصالِحين، فلا بدّ أن نكون وسَطٌ مع الصالحين، لا إفراط ولا تفريط.

- **حَقٌّ للمَكان الذي يَدرُس فيه.**

-**حَقٌّ لزميله**: قال ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقال ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

-**حَقٌّ للكتاب**: بأن يحافِظ علىٰ الكتاب؛ لأنّ الله ﷻ أنعَم علينا بهذه الكتب، ولابدّ من حِفظِها.

-**حَقٌّ للعِلم**: بِضَبطِ العِلم وتَعهُّدِه دائمًا بالمُراجَعة، والعَمل به، لأنه وَجَبَ علىٰ مَن تَعلَّمَ أنه يعمل، ثم بعد ذلك يدعو إلىٰ هذا العلم، لأنّ هذا نعمة ولابد أن يَشكر هذه النِّعمة.

٢. مِن آدابِ السؤال أن يتقدّم بالسؤال الذي يُرجىٰ منه النّفع والفائدة.

٣.علىٰ طالِب العِلم أن يحافِظ علىٰ هيئته حسنةً.

٤.بعد وَفاة النبي ﷺ لا يقال: اللهُ ورسولُه أعلَم، وإنما يقال فقط: اللهُ أعلم.

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيْلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامْ.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُوْنَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

نُبِّئَ بِـ[اِقْرَأْ]، وَأُرْسِلَ بِـ[الْمُدَّثِّرِ].

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِيْنَةِ.

اشتمَلت هذه الفِقرة علىٰ ترجَمةٍ مبسَّطةٍ عن النبيِّ صلواتُ الله وسلامه عليه، وتضمَّنت اسمه، ونسبه، وعمره، وشيئًا من دعوته ﷺ .

لابدّ أن نعرف عن النبي ﷺ أمورًا، منها:

أولًا: اسمُه ونسبُه.

هو محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدالمطَّلِب بنِ هاشم، وهاشمٌ من قريش، وقريشٌ من العرب من ذرية إسماعيلَ عليه السلام ابنِ إبراهيم الخليل عليه السلام .

ثانيًا: عمرُه .

له مِن العُمر ثلاث وستون سنه منها أربعون قبل البعثة، وثلاثٌ وعشرونَ سنةً بعد البعثة.

انقسمَتْ فترةُ بعثتِه ﷺ إلى:

فترةٌ مكيّة

استمرَّت ثلاثة عشر عامًا

فترةٌ مدنية

استمرَّت عشرة أعوام

هل هو –عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام– نبيٌّ أم رسولٌ؟

هو ﷺ نبيٌّ ورَسُول، نبِّئ –صلواتُ الله وسلامُه عليه– بإقرأ، ثم بُعث بالمدَّثِّر.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. **وَالدَّلِيلُ** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾.

وَمَعْنَىٰ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيْدِ. وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِيْ مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِيْنَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِيْنَةِ.

نبذة عن سيرته ﷺ

نبِّئ صلواتُ الله وسلامُه عليه بإقراء، ثم بُعِثَ بالمدثِّر.

وكانت الدَّعوة في العهد المكيّ متركِّزةً حولَ التوحيد والدَّعوة إلىٰ نبْذِ الشِّرْك وإخلاصِ العبادة لله وَحده. واستمرَّت هذه الدَّعوة لمدَّة ثلاثة عشر سنة.

ثم أُمِرَ ﷺ بالهجرة المدينة، وكذلك استمرَّ حالُ الدَّعوةِ فيها قائمًا علىٰ التوحيد، بالإضافة إلىٰ نزول باقي شرائع الدِّين من عباداتٍ ومعاملاتٍ وأمورٍ حياتيَّة.

إلا أنّ الناظِرَ في سِيرة ﷺ في دعوتِه يَجِدُ أنّ الدَّعوةَ إلىٰ التوحيد بقيتْ ملازمةً له ﷺ إلىٰ أن توفاه الله ، وفي هذا ردٌّ واضحٌ وجليٌّ لمَن يزهِّد الناس في تعلُّم التوحيد و يدَّعي أنّ التوحيد لا يُحتاج لتعلُّمه إلا دقائق معدودة .

قولُه رَحِمَهُ اللهُ: **(ثم عُرِجَ إِلَىٰ السَّمَاءِ)** نستفيدُ منه:

١. أنّ ما أخبرَ عنه النبي ﷺ مِن أَمرِ الغَيب نقولُ فيه: آمنّا وصدَّقنا وسلَّمْنا.

٢. أهميةُ الصلوات المفروضة، حيث أنَّ الله -تبارك وتعالى- فَرَضَها في السَّماء.

وَالهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ. وَالهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السّاعَةُ. **وَالدَّلِيْلُ** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. **قَالَ البَغَوِيُّ** – رَحِمَهُ اللَّهُ –: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيْمَانِ». **وَالدَّلِيْلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ** قَوْلُهُ ﷺ: ((لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)).

تنقسم الهجرة إلى ثلاثة أقسام:

الهِجرة مِن بلد الكُفر إلىٰ بلدِ الإسلام حُكمها واجبة.	الهِجرة مِن مكة إلىٰ المدينة وهذه انقطعتْ بفتح مكة.	هِجرةُ كلِّ ما أوجبَ الله هجرَه مِن عملٍ وعاملٍ وزمانٍ ومكانٍ

عَمَلٌ: كلَّ ما حرَّمه الله ﷻ، وعلىٰ رأسِ هذا الشِّرك. **عامِلٌ**: الكفَّار والمنافقين وغيرهم. **زمانٌ**: هَجْرُ الأزمنة التي يَحتَفلُ بها الكفَّار. **مكانٌ**: هَجْرُ الأمكِنَةِ التي يَحتَفِلُ فيها الكفَّار.

* تنقطع التوبة بأحد أمرين:

١. طلوع الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

٢. أو بحضور الوفاة ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ﴾.

* قوله ﷺ: ((لا هجرةَ بعد الفَتح))

يعني من مكةَ إلىٰ المدينة. وفي هذا إشارة من النبي ﷺ أنّ مكة لا يمكن أن تعود بلد كفر

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ؛ مِثْلُ: الزَّكَاةِ(١)، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالجِهَادِ وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِيْنَ. وَبَعْدَهَا تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ(٢).

وَدِيْنُهُ بَاقٍ، وَهَذا دِيْنُهُ، لَا خَيرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

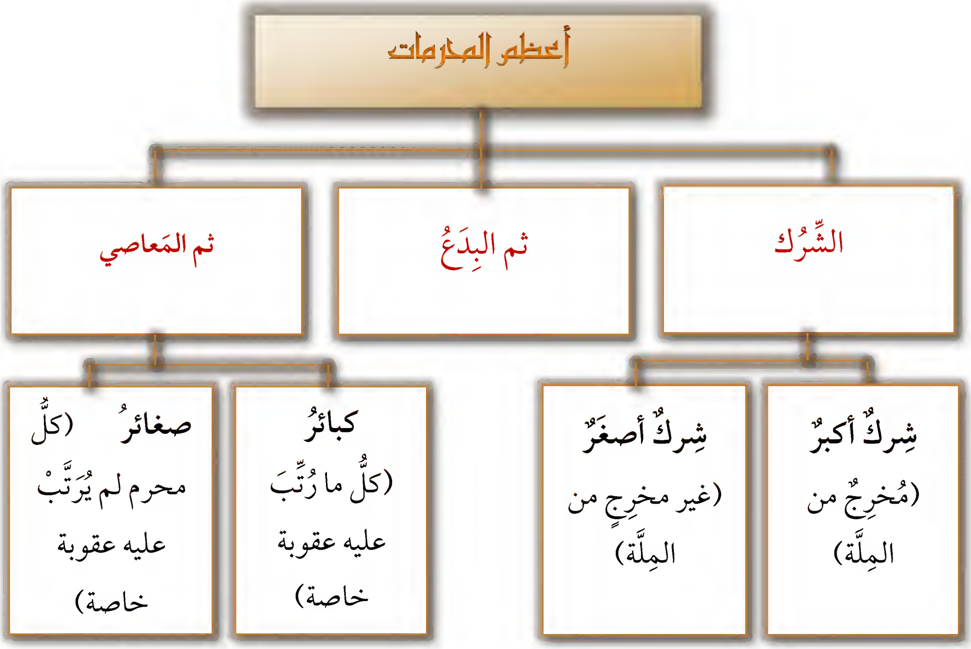
وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوحِيْدُ، وَجَمِيْعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيْعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ(٣).

(١) يقولُ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزَّكاة فُرِضَت أولًا في مكة؛ لكنها لم تقدَّر أنصابها ولم يقدَّر الواجبَ فيها، وفي المدينة قُدِّرتْ الأنصباء وقُدِّر الواجب».

(٢) توفِّي النبيُّ ﷺ في السَّنة العاشرة بعد الهجرة، ودُفِنَ في حُجْرَة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) **(لَا خَيرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ)** لابدَّ أن نَشهَد أنه ﷺ قد أدىٰ الأمانة، وبلَّغ الرِّسالة، ونَصَحَ الأمَّة، وجاهَد في الله حقَّ جهادِه، وتَرَكَنا علىٰ المَحجَّة البَيضاء ليلُها كنهارِها لا يَزيغُ عنها إلا هالِك.



بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيْعِ الثَّقَلَيْنِ؛ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١).

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّيْنَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾(٢)

وَالدَّلِيْلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(١) بُعِث النبي ﷺ إلىٰ الناسِ كافةً، ونُسِخَتْ بذلك كلّ شريعةٍ كانت قَبله، فاليهود والنصارىٰ في زمن النبي ﷺ وفي زمننا اليوم إذا بَلَغتهم الدَّعوةَ ولم يَدخُلوا في الدِّين فهم كفَّار، حتىٰ وإن كانوا علىٰ مثل ما كان عليه موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام.

ومن أدلَّة ذلك:

١-قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

٢-قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

٣- قولُ النبي ﷺ : ((والذي نفسي بيده لا يَسْمَع بي يهوديّ ولا نصرانيّ ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار)).

(٢) هذه الآية فيها رَدٌّ علىٰ المبتدِعة.

خامسا: الخـــاتمة

وَالنَّاسُ إِذا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾﴾. وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُوْنَ وَمَجْزِيُّوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾(١). وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ (٢).وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيْعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. وَأَوَّلُهُمْ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ.

وَالدَّلِيْلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوْحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾(٣).

(١)جميعُ الناس ذائقوا المَوت لا محالة، ومبعوثون ليومٍ عظيم؛ وهو يومُ القيامة، ومن ثم محاسبون ومجزيون كلٌّ حسب عمل عمله.

(٢) من كذَّب بالبعثِ والحساب كَفرَ؛ لأنه أنكَر ركنًا مِن أركان الإيمان.

(٣) نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أوّل الرُّسل، والدليل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾

أما أوّل الأنبياء فهو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والدليل: أنّ النبي ﷺ سئل عن آدم أنه نبي؟ قال: ((نبيٌّ مُكلَّم)).

وآخِر الأنبياء والرُّسل محمد ﷺ ، والدليلُ قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

فكلُّ مَن ادَّعىٰ النبُّوة أو الرِّسالة بعد النبي ﷺ فهو كاذِب وكافر، وكل مَن صدَّق هذا المدّعي فهو كافر مثله.

أرسَل اللهُ الرُّسل والأنبياء مبشِّرين ومنذِرين، وكلُّهم مجمِعون علىٰ دعوة التوحيد ومحاربة الطاغوت والشِّرك بألوانه. والدليل قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا﴾ أي في كلِّ طائفة؛ ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ﴾ أن وحِّدوا الله، ﴿وَاجْتَنِبُواْ﴾ أي اجعلوا الطواغيتَ في جانِب وأنتم في جانب، وهذا أَبْلَغُ في الزَّجْرِ والبُعْدِ عنهم، وهو مِن تحقيق البراءة من الشِّرك وأهله.

وافترَضَ اللهُ علىٰ جميع العِباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، ولا بدَّ من الكفر بالطاغوت أولًا قبل الإيمان بالله ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ﴾.

والطاغوتُ: هو ما تَجاوز به العَبد حدَّه من مَعبودٍ (كالأحجار والأشجار) أو متبوعٍ (كعلماء السوء) أو مطاعٍ (كالأمراء الخارجين عن طاعة الله).

والطواغيتُ كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله (والشيخ هنا إنَّما لَعَنَهُ من باب الإخبار)، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، من دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيْعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيْمَانَ بِاللهِ. **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ** –رَحِمَهُ اللَّهُ–: «الطَّاغُوتُ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ».

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا، مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوْتِ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

وَالطَّوَاغِيْتُ كَثِيْرُوْنَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيْسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَن دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ. **وَالدَّلِيْلُ** قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، وَهَذَا مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». **وَفِي الحَدِيْثِ**: ((رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُوْدُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ)).

الحكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل:

كُفر

إذا اعتقَدَ أنّ حُكم البَشر مثل حُكم الله أو أفضلَ منه

كُفر دون كُفر

من اعتقَد أن الحُكم بغير ما أنزل الله باطلٌ ولكنه يَحكُم به لهوىٰ أو حبِّ رياسة أو لغير ذلك من الأسباب

قسم الإمام ابن الجوزية الجهاد إلى أربع مراتب:

جهادُ النفْس

يكون بالعِلمِ والعمل والدَّعوة في سبيل الله والصَّبر

جهادُ الشَّيطان

يكون بترك الشبهات والشهوات

جهادُ الكفَّار

يكون بالقلب واللِّسان والجَوارح والمال

جهادُ المنافقين

يكون بالقلب واللِّسان والجَوارح والمال

الخاتمة:

يَجبُ علىٰ كلِّ عاقل أن يتأملَ هذا المتن العظيم ويَعتني به اعتناءً خاصًّا جدًا؛ لِمَا تضمَّنه من أصولٍ عظام يحتاج إليها كلُّ إنسانٍ في قبره .

هذا و اللهُ أعلَمُ ، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آله وصَحبه وسلَّم

الأصول الثلاثة (هي باختصار أسئلة القبر)،أدلتها، لماذا ندرس التوحيد؟ لماذا ندرس الأصول الثلاثة؟ ما هي الفائدة من دراستها؟

المسائل	المسألة	الشرح
المســائل الأربعة ودليلها (ســورة العصر)	العلم	مَعرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ (أي الأصول الثلاثة)
	العمل به	«يَهتِفُ العِلمُ بالعَملِ فإنْ أجابَه وإلَّا ارتَحل» وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَن مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَن
	الدعوة إليه	شروط الدَّعوة: الإخلاص، العِلم الشَّرعي، معرفةُ حال المَدعو، الحِكمَة، الصَّبر
		أوَّل ما يُدعىٰ إليه التوحيد، فهذه دعوة الأنبياء والرُّسل. وأعلىٰ مراتب الدَّعوة التوحيد ونَفي الشِّرك.
	الصبر على الأذى فيه	الصبر علىٰ طاعة الله كـ(الصلاة)، وعن معصية الله كـ(الربا) وعلىٰ أقدار الله المؤلمة كـ(الفقر).
		أي الصَّبر علىٰ العِلم ثمَّ علىٰ العمَل ثمَّ علىٰ الدَّعوة.
المســائل الثلاث		**توحيد الربوبية** (المنفرد بالربوبية لا بد من إفراده بالألوهية). **وتوحيد الأسماء والصفات.**
		توحيد الألوهية (الإخلاص)، و: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِيْ عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .
		البَراءةُ من الشِّرك وأهلِه: بالقلب (بُغْضُ الكفَّار)، وباللِّسان: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ وبالجوارح (عدم مشاركتِهم في أعيادِهم واحتفالاتِهم والتشبُّه بهم)

الأصول الثلاثة (هي باختصار أسئلة القبر)،أدلتها، لماذا ندرس التوحيد؟ لماذا ندرس الأصول الثلاثة؟ ما هي الفائدة من دراستها؟	سبب دراسة التوحيد	**(الحنيفية)** : هي المِلَّةُ المائلة عن الشِّرك المبنيَّة علىٰ الإخلاصِ والتَّوحيد.
		لغةً: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدًا، وحَّد الشَّيء؛ إذا جَعَلَهُ واحِدًا. **شرًعا**: هو إفرادُ الله بما يَختصُّ به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. **وأنواعه ثلاثة:**
		توحيد الربوبية: هو إفرادُ الله بأفعال، إفرادُ الله بالخَلق والملك والتدبِير. **توحيد الألوهية**: هو إفرادُ الله بالعِبادة، أو بأفعالِ العِباد. **توحيد الأسماء والصفات**: هو إفرادُ الله بما سمَّىٰ ووَصَفَ به نفسَه في كتابه أو علىٰ لِسَان رسولِه ﷺ؛ وذلك بإثبات ما اثبت لنفسه ونفي ما نفىٰ عن نفسه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل.
		الشِّرك هو دَعوة غير الله معه سبحانه، وهو أعظمُ ذنبٍ في الأرض
	الأصول الثلاثة	معرفةُ الله سبحانه وتعالىٰ: مَن ربك؟ بِمَ عَرفتَ الله؟ الرَّبُ هو المَعبود، أنواع العبادات، حُكم مَن صَرَفَ شيئًا من أنواع العبادة لغير الله مع الدليل.
		معرفةُ دينِ الإسلام بالأدلة، تعريفُ الإسلام، مراتِبُ الدِّين، أركانُ الإسلام، تعريف الشهادة، أركان الإيمان، شُعَبُ الإيمان، الإحسَان، دليلُ مراتب الدِّين، علامات الساعة،
		معرفةُ نبيه ﷺ نسبه، ولادته، عمره، نبوَّته ورسالته، بلدُه، الحِكمةُ من بعثَتِه، زمنُ دَعوته للتوحيد، الإسراء والمعراج، أين ومتىٰ فرضت الصلاة؟ الهِجرة وحكمها ووقتها، متىٰ شُرِعَتْ بقية الشرائع؟ مدة الدَّعوة، وفاته، ما جاء به من الدِّين، عمومُ بعثتِه للثقلين، كمالُ الدِّين وتمام النعمة.

الأصول الثلاثة (هي باختصار أسئلة القبر) أدلتها، لماذا ندرس التوحيد؟ لماذا ندرس الأصول الثلاثة؟ ما هي الفائدة من دراستها؟	الخـــاتمة				البعثُ بعد الموتِ والحِسابُ على الأعمال، كُفرُ مَن كذب بالبَعث، وظيفةُ الرُّسل ودَعوتهم، أوَّلُ الرُّسل وآخرُهم، ركنا التوحيد: الكُفْرُ بالطاغوتِ والإيمانُ بالله، تعريفُ الطاغوت، رؤوسُ الطواغيت، صفة الكفر بالطاغوت، معنىٰ لا إله إلا الله، الإسلامُ رأس الدِّين، عَمود الدِّين الصَّلاة، ذِرْوَة الدِّين في الجِهاد.
		أنواع الجهاد	جهاد النفس□		يكونُ بما وَرَدَ في سورة العصر (العِلمُ والعملُ به والدَّعوة إليه والصَّبر)
			جهاد الشيطان□	شهوات	كبائر (كلُّ ما رُتِّبَ عليه عقوبة خاصة)
					صغائر (كلُّ محرم لم يُرَتَّبْ عليه عقوبة خَاصة)
				شبهات	شِرك أكبر (مخرج من الملة) شِرك أصغر
					بدع
			جهاد الكفار والمنافقين□		يكون بالقلب واللسان والجوارح والمال
		الطاغوت			هو ما تَجاوز به العَبد حدّه من مَعبودٍ (كالأحجار والأشجار) أو متبوعٍ (كعلماء السوء) أو مطاعٍ (كالأمراء الخارِجين عن طاعة الله). والطواغيتُ كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله (والشيخ هنا إنَّما لَعَنَهُ من باب الإخبار)، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، من دعا الناس إلىٰ عبادة نفسه، ومن ادعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.
					واللهُ أعلمُ وصلّىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصَحبه وسلَّم.

الفهرس